سورة الحجرات

١٥٧- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ الضُّريس ... عن ابن عباس قال: نزَلتْ سورةُ الحُجُرات بالمدينة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (١).

(١) الدر المنثور (٥٢٧/١٣)، وانظر: فتح القدير (٥٨/٥).

دراسة الأثر:

سورة الحجرات مكيّة أم مدنيّة، وعلى القول بمكيّتها أو مدنيّتها هل كلّها كذلك أم فيها استثناء اختَلفَ فيه المفسّرون على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، ذكَرَه السيوطيّ في الإتقان، ولم يَعْزُه لقائلٍ، وعَدَّه قولاً شاذّاً.

وما تضمَّنتْه السورة من أحكامٍ، وآدابٍ، وأخلاقٍ أيضاً يُضعِّف هذا القول، ويُقوّي القول بمدنيّتها.

القول الثاني: أنّها مدنيّة كلّها، رُوِيَ عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، والحسن وقتادة وعِكرمة وغيرهم، وهو قولُ جُمهور المفسّرين.

القول الثالث: أنّها مدنيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية (الحجرات: ١٣)، رُوِيَ عن ابن عباس ﷺ.

ولعلّ مستَند هذا القول ما أخرَجَهُ البَزّار بسنده عن ابن مسعود ﷺ قال: كلُّ شيءٍ نزَلَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فهو بمكّة، وكلُّ شيءٍ نزَلَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فهو بالمدينة.

مسند البزّار (٣٣٦/٤) رقم (١٥٣١)، وإسناده حسن، وأخرَجَه الحاكم في المستدرك (٢٠/٣) رقم (٤٢٩٥)، ومن طريقه البيهقيّ في دلائل النبوّة (١٤٤/٧).

قال الزركشيّ: "وهذا القولُ إن أُخِذَ على إطلاقِه ففيه نظَرٌ؛ فإنّ سورة البقرة مدنيّة، وفيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة: ٢١)، وفيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (البقرة: ١٦٨)، وسورة النساء مدنيّة، وفيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (النساء: ١)، وفيها: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (النساء: ١٣٣)، وسورة الحجّ مكيّة، وفيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾ (الحج: ٧٧)، فإن أرادَ المفسّرون أنّ الغالب ذلك فهو صحيح". اهـ.

البرهان في علوم القرآن (١٩٠/١)

وممّا يُقوّي مدنيّة هذه الآية ما أخرَجَه سعيدُ بن منصور بسنده عن يحيى بن يعْمُر قال: ثلاثُ آياتٍ مدنيّات محكَمَات ضيَّعَهنّ كثيرٌ من الناس ...، وذكَرَ منها قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية (الحجرات: ١٣).

سنن سعيد بن منصور (١١٦٩/٣) رقم (٥٧٨)، وإسناده صحيح، وأخرَجَه الطبريّ في تفسيره (٩/٨) رقم (٨٦٧٢)، ابن المنذر في تفسيره (٥٨٠/٢) رقم (١٤١٣).

والرّاجح: – والله أعلَمُ –: أنّها مدنيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القول بمكيّة السورة أو ببعض آياتها – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنَين: "وهي مدنيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابنُ أبي زمنين (٢٦٠/٤)

انظر: الناسخ والمنسوخ للمقري ص (١٦٦)، تفسير السمعاني (٢١٢/٥)، تفسير الثعالبي (١٨٥/٤)، الدر المنثور (٢٤٤/٤)، الإتقان في علوم القرآن (٤٣/١)، روح المعاني (١٣١/٢٦)، التحرير والتنوير (٢١٣/٢٦).

قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ الحجرات/١.

١٥٨- قال النَّحّاس: حدثنا علي بن الحُسَين (١) عن الحَسَن بن محمد (٢) قال: حدثنا حَجَّاج (٣) عن ابن جُرَيج (٤) قال: أخبرَني ابنُ أبي مُلَيْكَة (٥) أنّ عبدَ الله بن الزبير أخبرَهم أنَّه قَدِمَ رَكْبٌ من بني تَمِيم على النَّبيّ ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: أَمِّرِ القَعْقَاع بن مَعْبَد، وقال عمر ﷺ: بل أَمِّرِ الأَقْرَع بن حابِس، فقال أبو بكر: ما أرَدْتَ إلاّ خِلافي؟ فقال: ما أرَدْتُ خِلافَك، فتَمَارَيا حتَّى ارتَفَعتْ أصواتُهما، فنَزَلَ في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (٦).

دراسة الإسناد:

(١) علي بن الحُسَين بن حَرْب القاضي، أبو عبيد بن حَرْبَوَيْه الشافعيّ، توفي سنة تسع عشرة وثلاث مائة، روى له النسائيّ، وثَّقَه الدارقطنيّ وأبو سعيد بن يونس وابن حجر.

انظر: سؤالات السلمي ص (٢١١) رقم (٢٢٠)، تهذيب التهذيب (٢٦٧/٧) رقم (٥٢٠)، التقريب رقم (٤٧١٤).

(٢) الحَسَن بن محمد بن الصَّبَّاح الزَّعْفَرَانيّ، أبو عليّ البَغْدَاديّ، توفي سنة ستين ومائتين، روى له الجماعة سوى مسلم، وثَّقَه النسائيّ وابن أبي حاتم وابن حجر.

انظر: الجرح والتعديل (٣٦/٣) رقم (١٥٣)، تهذيب الكمال (٣١٠/٦) رقم (١٢٧٠)، التقريب رقم (١٢٨١).

(٣) حَجَّاج بن محمد المِصِّيصِيّ، أبو محمد الأَعْوَر، مولى سُلَيمان بن مُجَالِد، توفي سنة ست ومائتين، روى له الجماعة، قال ابن معين: "كان أَثْبَتَ أصحاب ابن جُرَيج فيه"، قال الذهبيّ: "الحافِظ"، قال ابن حجر: "ثقة، ثَبْت، لكنّه اختَلَطَ في آخِر عُمره لما قَدِم بَغْداد قبل موتِه".

انظر: تهذيب الكمال (٤٥١/٥) رقم (١١٢٧)، الكاشف (٣١٣/١) رقم (٩٤٢)، التقريب رقم (١١٣٥).

(٤) عبدُ المَلِك بن عبد العزيز بن جُرَيْجٍ القُرَشِيّ، ثِقَة، وكان يُدلِّس، ويُرسِل، تقدَّم في الأثر (١٣).

(٥) عبد الله بن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة القُرَشِيّ، ثِقة، فقيه، تقدَّم في الأثر (١٥).

درجة الإسناد:

إسناده صحيح.

(٦) إعراب القرآن (٢٠٧/٤)، وأخرَجَه البخاريّ في صحيحه (١٨٣٤/٤) رقم (٤٥٦٦) من طريق حجّاج بن محمد عن ابن جُريج به بمثله، وأخرَجَه أيضاً (١٥٨٧/٤) رقم (٤١٠٩) من طريق هشام بن يوسف عن ابن جُريج به بمثله، النسائيّ في المجتَبى (٢٢٦/٨) رقم (٥٣٨٦)، وفي السنن الكُبرى (٤٦٤/٣) رقم (٥٩٣٦) من طريق حجّاج عن ابن جُريج به بنحوه، وفيه: حتّى انقَضتِ الآية ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾، أبو يعلى في مسنده

(١٩٣/١٢) رقم (٦٨١٦)، الطحاويّ في شرح معاني الآثار (١٧٢/٤)، كلاهما من طريق هشام بن يوسف عن ابن جُريج به بمثله، الطبرانيّ في المعجم الكبير (١١٣/١٣) رقم (٢٧٦) من طريق حجاج عن ابن جريج به بمعناه، الثعلبيّ في الكشف والبيان (٧٠/٩) من طريق هشام بن يوسف عن ابن جُريج به بمثله، الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٥٧) من طريق حجّاج عن ابن جُريج به بمثله، وفيه: إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾، البغويّ في تفسيره (٣٣٤/٧) من طريق هشام بن يوسف عن ابن جُريج به بمثله، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩١/٩) من طريق حجّاج عن ابن جُريج به بمثله، وفيه: إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾، وذكرَه السمعانيّ في تفسيره (٢١٣/٥)، ابن الجوزي في زاد المسير (٤٥٤/٧)، القرطبيّ في تفسيره (٣٠٠/١٦)، الخازن في تفسيره (٢١٨/٦)، وعزاه للبخاري، ابن كثير في تفسيره (٣٦٥/٧) من البخاري، وعندهم إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾، ابن عادل في اللّباب (٥٢١/١٧)، السيوطيّ في الدر المنثور (٥٢٧/١٣)، وعزاه للبخاري وابن المنذر وابن مردويه، وفي لباب النقول ص (١٩٤)، وعزاه للبخاري، ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢١٦/٢٦)، وعزاه للبخاري، وفيه: إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، الشوكانيّ في فتح القدير (٦١/٥)، وعزاه للبخاري، الألوسيّ في روح المعاني (١٣٣/٢٦)، وعزاه للبخاري وابن المنذر وابن مردويه.

دراسة الأثر:

اختَلفَ المفسّرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّ رَكْباً من بني تميم قدِمُوا على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّرِ القَعْقَاع بن مَعْبَد، وقال عمر: أمِّرِ الأقْرَعَ بن حابِس، فقال أبو بكر: ما أردْتَ إلاّ خِلافي، وقال عمر: ما أردْتُ خِلافَك، فتَمارَيا حتّى ارتَفَعتْ أصواتُهما فنَزَلَتْ، رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ.

القول الثاني: أنّ قوماً ذبَحُوا قبلَ أن يُصلّي رسولُ الله ﷺ يوم النَّحر، فأمَرَهم رسول الله ﷺ أن يُعيدُوا الذَّبْح، فنزلتِ الآية، قالَه الحسن.

القول الثالث: أنّها نزلتْ في قومٍ كانوا يقولون: لو أُنزِلَ فيّ كذا، لو أُنزِلَ فيّ كذا، فكَرِهَ اللهُ ذلك، فنَزَلتْ هذه الآية، قالَه قتادة.

القول الرابع: أنّها نزلَتْ في عمْرو بن أُميَّة الضَّمْري وكان قد قتَلَ رجُلَينِ من بني سُلَيم قبل أن يستأْذِنَ رسولَ الله ﷺ.

أخرَجَه البيهقيّ في شعب الإيمان (١٩٦/٢) رقم (١٥١٧)، وفي إسناده بُكَيْر بن معروف، وهو ضعيف، وذكرَه الماورديّ عن الضحّاك عن ابن عباس ﷺ.

القول الخامس: إنّ ناساً كانوا يُقدِّمون الشهر، فيصُومُون قبلَ النبيّ ﷺ، فأنزلَ اللهُ الآية، رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها.

أخرَجَه الطبرانيّ في المعجم الأوسط (١٣٤/٣) رقم (٢٧١٣)، قال الهيثميّ في مجمع الزوائد (١٤٨/٣): "وفيه حِبال بن رُفَيدة، وهو مجهول". اهـ.

القول السادس: وقيل: إنّها نزلتْ في قومٍ كانوا يحضُرون مجلسَ رسول الله ﷺ، فإذا سُئِلَ الرسولُ ﷺ عن شيءٍ خاضُوا فيه، وتقدَّمُوا بالقول والفَتوى، فنُهُوا عن ذلك، قالَه مجاهد.

والرّاجح – والله أعلَم –: ما رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ أنّ الآية نزلتْ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فقد أخرَجَه البخاريّ، كما سبقَ في تخريج هذا الأثر، وهو صريحٌ في السَببيّة، ونزولِها في الشيخَينِ.

انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/٢٣٠)، تفسير الطبري (٢٢/٢٧٢)، إعراب القرآن للنحّاس (٤/٢٠٧)، تفسير السمرقندي (٣/٣٠٦)، الكشف والبيان (٩/٧٠)، تفسير الماوردي (٥/٣٢٥)، أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٧)، تفسير البغوي (٧/٣٣٠)، المحرر الوجيز (٥/١٤٤)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٤٣)، زاد المسير (٧/٤٥٤)، تفسير القرطبي (١٦/٣٠٠)، تفسير ابن كثير (٧/٣٦٤)، اللّباب لابن عادل (١٧/٥٢١)، لباب النقول ص (١٩٤)، الدر المنثور (١٣/٥٢٧)، فتح القدير (٥/٦١)، روح المعاني (٢٦/١٣٣)، التحرير والتنوير (٢٦/٢١٦)، الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص (٢٢٠).

قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ الحجرات/٢.

١٥٩- قال الطبريّ: حدثني عليّ بن سَهْل (١) قال: ثنا مُؤَمَّلٌ (٢) قال: ثنا نافع بن عُمَر ابن جميل الجُمَحِيّ (٣) قال: ثني ابن أَبي مُلَيْكَة (٤) عن ابن الزبير قال: قَدِم وفدٌ - أُرَاه قال: تَمِيمٌ - على النبيّ ﷺ، منهم الأَقْرَعُ بن حابِس، فكَلَّم أبو بكر النبيّ ﷺ أن يستَعْمِلَه (٥) على قومه، قال: فقال عمر: لا تفعلْ يا رسولَ الله، قال: فتكلَّما حتّى ارتفَعَتْ أصواتُهما عند النبيّ ﷺ، قال: فقال أبو بكر لعمرَ: ما أَرَدْتَ إلاَّ خِلافي، قال: ما أَرَدْتُ خِلافَك، قال: فنزَلَ القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾، قال: فما حَدَّثَ عُمرُ النَّبيَّ ﷺ بعد ذلك، فَيُسْمِعَ النبيَّ ﷺ (٦).

دراسة الإسناد:

(١) عليّ بن سَهْل بن قادِم، ويُقال: ابن موسى الحَرَشِيّ، أبو الحَسَن الرَّمْليّ، توفي سنة إحدى وستين ومائتين، روى له أبو داود والنسائيّ، قال أبو حاتم: "صدوق"، قال النسائيّ: "ثقة"، قال ابن حجر: "صدوق".

انظر: الجرح والتعديل (١٨٩/٦) رقم (١٠٣٩)، تهذيب الكمال (٤٥٤/٢٠) رقم (٤٠٧٧)، التقريب رقم (٤٧٤١).

(٢) مُؤَمَّل بن إسماعيل القُرَشِيّ العَدَويّ، أبو عبد الرحمن البَصْريّ، مولى آل عمر بن الخطاب، توفي سنة ست ومائتين، روى له البخاريّ تعليقاً وأبو داود في القدر والترمذيّ والنسائيّ وابن ماجه، قال ابن معين: "ثقة"، قال أبو حاتم: "صدوق ...، كثيرُ الخطأ"، قال ابن حجر: "صدوق، سيِّء الحِفظ".

انظر: الجرح والتعديل (٣٧٤/٨) رقم (١٧٠٩)، تهذيب الكمال (١٧٦/٢٩) رقم (٦٣١٩)، التقريب رقم (٧٠٢٩).

(٣) نافع بن عُمَر بن عبد الله بن جَميل القُرَشيّ الجُمَحيّ المكّيّ، توفي سنة تسع وستين ومائة، روى له الجماعة، وثَّقَه ابن معين والذهبيّ وابن حجر.

انظر: الجرح والتعديل (٤٥٦/٨) رقم (٢٠٨٨)، تهذيب الكمال (٢٨٧/٢٩) رقم (٦٣٦٧)، التقريب رقم (٧٠٨٠).

(٤) عبد الله بن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة، القُرَشِيّ، ثِقة، فقيه، تقدَّم في الأثر (١٥).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ فيه مُؤَمَّل بن إسماعيل، وهو ضعيف.

(٥) اسْتَعْمَلَ فلانٌ غيرَه: إذا سَأَلَه أَن يَعْمَلَ له، واستعمَلَه: طلَبَ إليه العملَ.

انظر: الصحاح (عمل) (١٧٧٥/٥)، لسان العرب (عمل) (٤٧٥/١١).

(٦) تفسير الطبري (ط: دار هجر) (٣٤٢/٢١)، وأخرجَه الترمذيّ في السنن (٣٨٧/٥) رقم (٣٢٦٦) من طريق نافع ابن عمر عن ابن أبي مُلَيْكة به بمعناه، البزَّار في مسنده (١٤٥/٦) رقم (٢١٨٧) من طريق ابن جُريج عن ابن أبي مُلَيكة

به بمعناه، الطبرانيّ في المعجم الكبير (١١٣/١٣) رقم (٢٧٥) من طريق نافع بن عمر عن ابن أبي مُلَيكة به بمعناه، أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٣٦٢/٤) رقم (٥٨٠٢) من طريق ابن جُرَيج عن ابن أبي مُلَيكة به بمعناه، وفيه: إلى قوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ابن حزم في الإحكام (٢٣٨/٦) من طريق ابن جُرَيج عن ابن أبي مُلَيكة به بمعناه، عبد الله بن محمد الهرويّ في ذمّ الكلام (١٦٢/٥) من طريق نافع بن عمر عن ابن أبي مُلَيكة به مختصراً، وذكرَه القرطبيّ في تفسيره (٣٠٣/١٦)، وعزاه للبخاري والترمذي، السيوطيّ في الدر المنثور (٥٣٠/١٣)، وعزاه لابن جرير والطبراني، وليسَ عندهم إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، بل عندهم: نزلتْ ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية.

وأخرَجَه عن ابن أبي مُلَيكة مرسلاً أحمد في المسند (٦/٤) رقم (١٦١٧٨)، البخاريّ في صحيحه (١٨٣٣/٤) رقم (٤٥٦٤) و(٢٦٦٢/٦) رقم (٦٨٧٢)، الطحاويّ في شرح مشكل الآثار (٣١١/١)، وذكرَه الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٥٨)، ابن العربي في أحكام القرآن (١٤٦/٤)، ابن كثير في تفسيره (٣٦٥/٧) من البخاري، السيوطيّ في الدر المنثور (٥٢٩/١٣)، وعزاه للبخاري وابن المنذر والطبراني، ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٢٠/٢٦)، وعزاه للبخاري، كلُّهم بلفظ: (كادَ الْخَيِّرَان أنْ يَهْلِكا أبو بكر وعمرُ لما قَدِم على النبيّ ﷺ وفدُ بني تميم، أشَارَ أحدُهما بالأقْرَع بن حابِس، وأشارَ الآخر بغيره)، ثمّ ذكرَ ابنُ أبي مُلَيكة نحوه، ونزولَ الآية، ثمّ قال: قال ابنُ الزبير: فما كان عمرُ يُسْمِعُ رسولَ اللّهِ ﷺ بعدَ هذه الآية حتّى يَستَفْهِمَه.

والذي يظْهَر أنّ ابن أبي مُلَيكَة حَمَله عن ابن الزبير ﷺ، كما جاء به التصريحُ في آخر روايته حيثُ قال: قال ابن الزبير: فما كان عمرُ يُسمِعُ رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتّى يَستَفهِمَه.

قال ابنُ حجر معلقاً على هذه الرواية: "هذا السِّياق صورتُه الإرسال، لكن ظَهَرَ في آخرِه أنَّ ابن أبي مُلَيكَة حَمَله عن عبد الله بن الزبير". اهـ.

فتح الباري (٥٩٠/٨)

دراسة الأثر:

اختَلفَ المفسّرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها نزلتْ في أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – رفَعَا صوتَهما في قصّة وفد بني تميم، فأنزَلَ الله هذه الآية، رُوِي عن ابن الزبير ﷺ.

القول الثاني: أنّها نزلتْ في ثابت بن قَيس بن شَمَّاس ﷺ، وكان جَهْورِيَّ الصَّوت، فرُبَّما كانَ إذا تكلَّمَ تأَذَّى رسولُ الله ﷺ بصوته، رُوِي عن ابن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهما –، ومُقاتل.

والصَّوابُ – والله أعلم –: أنَّ الآية لم تنزِلْ في ثابت بن قَيْس ﷺ، وإنّما كان مُجَرَّد ظنِّه أن تكونَ هذه الآية نزلتْ فيه، ولم يكُنْ كذلِك؛ فقد أخرج البخاريّ ومسلم قصّةَ ثابت بن قيس ﷺ بعد نزول هذه الآية، وليس فيها ما يدُلّ على نزول الآية فيه.

انظر: صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾/ رقم (٤٥٦٥)، صحيح مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله/ رقم (١١٩).

القول الثالث: كانوا يجْهَرُون له بالكلام، ويرفَعُون أصواتَهم، فأنزلَ الله ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية، رُوِيَ عن قتادة.

وقيل: هم المنافقون، كانوا يفعلُون ذلك إيذاءً بالرسول ﷺ، رُوِي عن الحسن.

قال ابنُ جزي: "وهذا ضعيفٌ؛ لقوله في أولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾؛ فإنّه لا يصِحُّ أن يقال هذا لمنافِق؛ فإنه يفعله جُرأة وهو يقصِدُه". اهـ.

التسهيل لابن جزي (٥٨/٤)

والرّاجح – والله أعلَمُ –: ما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ أنّ الآية نزلتْ في الشيخَينِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فقد أخرجَه البخاريّ، كما مضى في تخريج الأثر، وهو صريحٌ في نزولها في الشيخَينِ.

ورجَّحَه غيرُ واحدٍ من المفسّرين.

قال الشنقيطيّ: "سببُ نزول هذه الآية الكريمة أنّه لما قدِمَ ﷺ وفدُ تميم أشارَ عليه أبو بكر ﷺ أن يُؤمِّرَ عليهم القَعْقَاعَ بن مَعْبَد بن زُرارَةَ بن عُدُس ...". اهـ.

أضواء البيان (٤٠١/٧)

قال ابنُ عاشور: "وسببُ نزول هذه الآية ما رواه البخاريّ في صحيحه في قصّة وفد بني تميم بسنده إلى ابن الزبير". اهـ.

التحرير والتنوير (٢١٦/٢٦)

انظر: تفسير عبد الرزاق (٢٣١/٢)، تفسير الطبري (٢٧٨/٢٢)، تفسير السمرقندي (٣٠٧/٣)، الكشف والبيان (٧١/٩)، تفسير الماوردي (٣٢٦/٥)، أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٧)، الكشّاف (٣٥٥/٤)، أحكام القرآن لابن العربي (١٤٥/٤)، زاد المسير (٤٥٦/٧)، تفسير القرطبي (٣٠٣/١٦)، تفسير النسفي (١٦٦/٤)، تفسير البحر المحيط (١٠٦/٨)، تفسير ابن كثير (٣٦٥/٧)، الدر المنثور (٥٢٩/١٣)، تفسير أبي السعود (١١٧/٨)، فتح القدير (٦١/٥)، الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص (٢٢٠).

قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ الحجرات/٣.

١٦٠- قال البغويّ: وقال ابنُ الزبير: لما نزلتْ هذه الآيةُ ما حدَّثَ عمرُ النبيَّ ﷺ بعد ذلك، فيُسْمِعُ النبيَّ ﷺ كلامَه حتَّى يَستَفْهِمَه ممّا يَخْفِضُ صوتَه، فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ (١).

(١) تفسير البغوي (٣٣٧/٧)، وانظر: الكشف والبيان (٧٣/٩)، تفسير القرطبي (٣٠٨/١٦)، تفسير الخازن (٢٢٠/٦).

دراسة الأثر:

اختلف المفسّرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها نزلتْ في عمر ﷺ لِما كان منه من غضِّ الصوت بعد نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، والبلوغ به أخا السِّرار حتّى يستَفْهِمَه النبيُّ ﷺ، رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ.

القول الثاني: أنّها نزلتْ في أبي بكر ﷺ، فلمّا نزَلَ قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ تألَّى أبو بكر ﷺ ألاّ يُكَلِّمَ رسولَ اللَّه ﷺ إلاّ كأخِي السِّرار، رُوِي عن ابن عباس ﷺ.

ذكرَه الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٥٨)، قال الزَّيلعيّ في تخريج أحاديث الكشاف (٣٢٦/٣): "غريبٌ". اهـ.

القول الثالث: أنّها نزلتْ في ثابت بن قيس ﷺ، رُوِي عن مقاتل.

أخرَجَ الطبريّ عن محمد بن ثابت بن قَيْس قالَ: لما نزَلتْ هذه الآية: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قعَدَ ثابت بن قَيْس في الطريق يبكي، فمرَّ به عاصِم بن عَدِي بن العَجْلان، فقال: ما يُبكيكَ؟ قال: هذه الآية أَخَوَّفُ أن تكونَ نزلتْ فيَّ وأنا صَيِّتٌ رفيعُ الصّوت، فرَفعَ ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ، فدعا به، فقالَ: "أما تَرْضَى أن تعيْشَ حميداً، وتُقْتَلَ شهيداً، وتدخُلَ الجنّة؟"، قالَ: رَضيتُ، ولا أرفَعُ صوتي أبداً على صوتِ رسول اللَّه ﷺ، فأنزلَ اللَّهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ الآية.

تفسير الطبري (٢٧٨/٢٢)، وفي إسناده إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قَيْس بن شمَّاس، وأبو ثابت بن ثابت بن قَيْس، لم أقفْ فيهما على جرحٍ أو تعديل.

وأخرَجَه الطبرانيّ في المعجم الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، قال الهيثميّ في مجمع الزوائد (٣٢١/٩): "وأبو ثابت ابن قَيْس بن شمَّاس لم أعرِفْه، ولكنّه قال: حدّثني أبي ثابت بن قيس، فالظّاهر أنّه صحابيّ، ولكن زيد بن الحُباب لم يسمَعْ من أحدٍ من الصحابة، والله أعلَم". اهـ.

والقصّة أخرَجَها الشيخانِ في الصَّحيحَينِ، وليسَ فيها ما يدلُّ على نزول هذه الآية في ثابت بن قَيْس ﷺ.

انظر: صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾/ رقم (٤٥٦٥)، صحيح مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله/ رقم (١١٩).

والصَّواب – والله أعلَمُ –: أنّ هذه الآية نزلتْ مع الآيتَينِ السابقتَينِ في قصَّة الشيخَينِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فهو الأنسَبُ للسِّياق، ويدخُلُ في عمومها ثابت بن قَيْس، وكلُّ من امتَثلَ بهذه الآية.

قال ابنُ جزي: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ نزلتْ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فإنّه لما نزلتْ الآيةُ قبلَها قال أبو بكر: واللهِ، يا رسولَ الله، لا أُكلِّمنَّك إلاّ سِرّاً، وكان عمر يُخفي كلامَه حينَ يستَفْهِمَه النبيُّ ﷺ، ولفظُها مع ذلك على عمومه". اهـ.

التسهيل لابن جزي (٤/٥٨)

وما جاءَ في بعض الروايات أنّ القدرَ الذي نزَلَ في الشيخَينِ هو إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ٥) فالذي يظهر أنّ الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ٤– ٥) تَتعلَّق بالذين نادَوا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات، وهم جماعة من وفد بني تميم، وليس لها علاقةٌ بالشيخَينِ، ومما يُقَوِّي ذلك أنّ الله ﷻ وصَفَ هؤلاء بأنّهم لا يعقِلُون، وهذا لا يُناسِبُ حالَ الشيخَينِ.

قال ابنُ عطيّة: "نزلتْ في وفد بني تميم حيثُ كان الأقْرَعُ بن حابس، والزِّبْرِقَانُ بن بَدْر، وعَمْرو ابن الأهْتَم، وغيرهم، وذلك أنّهم وفَدُوا على رسول الله ﷺ، فدخلُوا المسجدَ، ودَنَوا من حُجَر أزواج النبيّ ﷺ – وهي تسعة –، فجعلُوا ولم ينتظِرُوا، فنادَوا بجُملتِهم: يا محمّد، اخرُجْ إلينا، يا محمّد، اخرُجْ إلينا، فكانَ في فعلهم ذلك جفَاءٌ، وبَداوَةٌ، وقلّةُ توقير". اهـ.

المحرر الوجيز (٥/١٤٦)

قال النسفيّ: "نزلتْ في وفد بني تميم أتَوا رسولَ الله ﷺ وقتَ الظَّهيرة وهو راقِدٌ، وفيهم الأقرَع بن حابِس وعُيَينَة بن حِصْن، ونادَوا النبيّ ﷺ من وراء حُجُراتِه، وقالوا: اخرُجْ إلينا يا محمّد؛ فإنّ مدْحَنا زَيْنٌ، وذمَّنا شَيْنٌ، فاستيْقَظَ، وخرَجَ". اهـ.

تفسير النسفي (٤/١٦٧)

قال ابنُ عاشور: "والمراد بالذين يُنادُون النبيَّ ﷺ من وراء الحُجُرات جماعةٌ من وفد بني تميم جاؤُوا المدينة في سنة تسْع، وهي سنة الوفود، وكانوا سبعين رجُلاً أو أكثر". اهـ.

التحرير والتنوير (٢٦/٢٢٤)

انظر: تفسير مقاتل (٣/٢٥٨)، تفسير السمرقندي (٣/٣٠٧)، أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٢/١٩٦) رقم (١٥١٧)، زاد المسير (٧/٤٥٧)، تفسير البحر المحيط (٨/١٠٦)، تفسير ابن كثير (٧/٣٦٧)، تفسير النيسابوري (٦/١٥٨)، اللّباب لابن عادل (١٧/٥٢٣)، لباب النقول ص (١٩٥)، الدر المنثور (١٣/٥٣٠)، روح المعاني (٢٦/١٣٨)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٢٢).

○○○○○

سورة ق

١٦١- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ الضُّريس ... عن ابن عباس قالَ: نزَلتْ سورةُ ق بمكّة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (١).

---

(١) الدر المنثور (٦٠٩/١٣).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة ق، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آيات مدنيّة اختَلفُوا فيه على قولَينِ، وهما:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، ومجاهد الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (ق: ٣٨)، فهو مدنيّ، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقتادة والضحّاك.

والسببُ في ذلك ما رُوِي عن ابن عباس ﷺ أنّ اليهودَ أتَتِ النبيَّ ﷺ، فسألتْ عن خلق السموات والأرض، فقال: "خلَقَ اللهُ الأرضَ يوم الأحد والاثنين، وخلَقَ الجِبال يوم الثلاثاء، وخلَقَ السمواتِ يوم الأربعاء والخميس، وخلَقَ يوم الجمعة النُّجومَ، والشمسَ، والقمرَ"، قالتِ اليهودُ: ثمّ ماذا يا محمّد؟ قال: "ثمّ استَوى على العرش"، قالوا: قد أصبْتَ لو أتْمَمْتَ، قالوا: ثمّ اسْتَراحَ، فغَضِبَ رسولُ الله ﷺ غضباً شديداً، فنزَلتْ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ الآية (ق: ٣٨- ٣٩).

أخرجَه الطبريّ في تفسيره (٤٣٢/٢١)، وفي تاريخه (٢١/١)، النحّاس في الناسخ والمنسوخ ص (٦٨٠)، أبو الشيخ في العظمة (١٣٦٢/٤)، الحاكم في المستدرك (٥٩٢/٢) رقم (٣٩٩٧)، وصحَّحَه، وردَّه الذهبيّ، الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٦٦)، البيهقيّ في الأسماء والصفات (٢٠٢/٢) رقم (٧٦٥)، وذكرَه ابن كثير في تفسيره (١٦٨/٧)، وقال: "فيه غَرابةٌ". اهـ.

قال الألبانيّ بعد أن ذكَرَ طُرُقَه، وبيَّنَ ضَعْفَها: "ولعلّ أصلَ الحديث من الإسرائيليّات، وَهِمَ بعضُ الرُّواة، فرَفَعه إلى النبيّ ﷺ؛ فقد روى الطّبريّ أكثرَه عن عبد الله بن سَلاَم مَوْقُوفاً عليه، والله أعلَمُ". اهـ.

السلسلة الضعيفة (٩٤٩/١٢)

قال ابنُ عاشور: "وهذا المعنى وإن كان معنىً دقيقاً في الآية فليسَ بالذي يقتضي أن يكون نزولُ الآية في المدينة؛ فإنّ الله علِمَ ذلكَ، فأوحَى به إلى رسوله ﷺ على أنّ بعض آراء اليهود كان ممّا يَتَحدَّثُ به أهلُ مكّة قبل الإسلام، يَتَلقَّونَه تلَقِّيَ القِصَص والأخبار، وكانوا بعد البعثة يسألُون اليهودَ عن أمر النبوءة والأنبياء على أنّ إرادةَ الله إبطالَ أوهامِ اليهود لا تقتَضي أن يُؤَخِّرَ إبطالَها إلى سِماعِها، بل قد يجيءُ ما يُبطِلُها قبل فُشُوِّها في الناس، كما في قوله

تعـــالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: ٦٧) فإنّها نزلتْ بمكّة". اهـ.

التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٦)

والرّاجح – والله أعلَمُ –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قول جمهور المفسّرين، ولأنّ القولَ بالاستثناء – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنَين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٢٦٨/٤)

قال ابنُ عاشور: "وهذه السورة مكيّة كلّها". اهـ.

التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٦)

انظر: تفسير الماوردي (٣٣٩/٥)، أسباب النزول ص (٢٦٦)، زاد المسير (٣/٨)، تفسير القرطبي (١/١٧)، تفسير البحر المحيط (١٢٠/٨)، الدر المنثور (٦٠٩/١٣)، الإتقان في علوم القرآن (٥٣/١)، فتح القدير (٧٠/٥)، روح المعاني (١٧٠/٢٦)، التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٦).

○○○○○

سورة الذاريات

١٦٢- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ الضُّريس ... عن ابن عباس قال: نزلتْ سورةُ الذّاريات بمكّة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (١).

(١) الدر المنثور (٦٦٣/١٣)، وانظر: فتح القدير (٨٢/٥)، روح المعاني (٢/٢٧).

دراسة الأثر:

سورة الذاريات مكيّةٌ كلّها، كما رُوِيَ عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، ولا خِلافَ في ذلك بين المفسّرين.

قال السمرقنديّ: "سورة الذاريات كلّها مكيّة". اهـ.

تفسير السمرقندي (٣٢٤/٣)

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٢٨٢/٤)

قال ابنُ الجوزيّ: "مكيّة كلّها بإجماعهم". اهـ.

زاد المسير (٢٧/٨)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٨٠)، تفسير السمعاني (٢٥٠/٥)، تفسير البغوي (٣٦٨/٧)، المحرر الوجيز (١٧١/٥)، تفسير البحر المحيط (١٣٢/٨)، تفسير ابن كثير (٤١٣/٧)، تفسير القرطبي (٢٩/١٧)، الدر المنثور (٦٦٣/١٣)، فتح القدير (٨٢/٥)، روح المعاني (٢/٢٧)، التحرير والتنوير (٣٣٥/٢٦).

قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ الذاريات/٢١.

١٦٣- قال عبد الرزاق: عن ابن جُرَيج (١) قال: أخبرَني محمَّد بن المرتَفِع (٢) أنّه سَمِعَ ابنَ الزبير يخطُبُ، يقول: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ قال: سبيلُ الغائِط والبَول (٣).

دراسة الإسناد:

(١) عبدُ الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْجٍ القُرَشِيّ، ثِقَة، وكان يُدلِّس ويُرسِل، تقدَّم في الأثر (١٣).

(٢) محمد بن المرتَفِع بن النَّضير العَبْدَريّ القُرَشيّ المكِّيّ، يروي عن ابن الزبير، روى عنه ابن جُرَيج وابن عُيَينة، وثَّقَه ابن سعد وأحمد، وذكرَه ابن حبان في الثقات.

انظر: الطبقات الكبرى (٤٧٨/٥)، الجرح والتعديل (٩٨/٨) رقم (٤٢٢)، الثقات لابن حبان (٣٥٩/٥) رقم (٥١٩٦).

درجة الإسناد:

إسناده صحيح.

(٣) تفسير عبد الرزاق (٢٤٤/٢)، وأخرَجَه ابن أبي الدنيا في التواضُع والخُمول ص (٢٥٨) رقم (٢١٢)، وفي الجوع ص (١١١) رقم (١٦٩) من طريق سُفيان بن عُيَينة عن ابن المرتفِع عن ابن الزبير بنحوه، الطبريّ في تفسيره (٤١٩/٢٢) من طريق ابن جريج عن ابن المرتفع عن ابن الزبير بنحوه، الثعلبيّ في الكشف والبيان (١١٣/٩) من طريق ابن جريج عن ابن المرتفع عن ابن الزبير بنحوه، البيهقيّ في شُعب الإيمان (٢٩٣/٦) رقم (٨٢٠٨) من طريق ابن جريج عن ابن المرتفع عن ابن الزبير بنحوه، وذكرَه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣١٢/١٠) رقم (١٨٦٥٧)، الماورديّ في تفسيره (٣٦٧/٥)، البغويّ في تفسيره (٣٧٥/٧)، ابن عادل في اللّباب (٧٥/١٨)، ابن حجر في فتح الباري (٥٩٩/٨)، السيوطيّ في الدر المنثور (٦٧٩/١٣)، الشوكانيّ في فتح القدير (٨٧/٥)، كلاهما عزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

١٦٤- قال الطبري: حدثنا ابن حُمَيد (١) قال: ثنا مِهْران (٢) عن سُفيان (٣) عن ابن جُرَيج (٤) عن محمد بن المرتَفِع (٥) عن عبد الله بن الزبير ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ قال: سَبيلُ الخَلاَء (٦) والبَول (٧).

دراسة الإسناد:

(١) محمد بن حُمَيْد بن حيَّان التَّمِيميّ، حافِظ، ضعيف، تقدَّم في الأثر (١٦).

(٢) مِهْران بن أبي عُمر، أبو عبد الله الرازيّ، روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه، قال أبو حاتم: "ثقة، صالح الحديث"، قال الذهبيّ: "فيه لين"، قال ابن حجر: "صدوق، له أوهام، سَيِّء الحفظ".

انظر: الجرح والتعديل (٣٠١/٨) رقم (١٣٩١)، تهذيب الكمال (٥٩٥/٢٨) رقم (٦٢٢٥)، التقريب رقم (٦٩٣٣).

(٣) سُفيان بن سَعِيد بن مَسروق الثَّوري، ثِقَة، حافظ، فقيه، تقدَّم في الأثر (١١).

(٤) عبدُ الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْجٍ القُرَشِيّ، ثِقَة، وكان يُدلِّس ويُرسِل، تقدَّم في الأثر (١٣).

(٥) محمد بن المرتَفِع بن النَّضير بن الحارِث القُرَشيّ، ثِقَة، تقدَّم في الأثر (١٦٣).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ فيه محمَّد بن حُمَيد ومهران، وهما ضعيفان، وفيه عَنعَنة ابن جُرَيج، وهو مُدلِّس، وقد تابعَ ابنَ حُمَيد عباس بن محمّد، كما تابَعَ مِهْرانَ عُبَيدُ الله بن موسى عند البيهقيّ في شعب الإيمان (١٣٤/١) رقم (١١١)، وفي الاعتقاد ص (٣٥)، وهما ثِقَتان، وابنُ جُرَيج وإن كان مُدلِّساً، ولم يُصرِّحْ بالسِّماع من محمّد بن المرتَفِع هنا فقد صرَّحَ بذلك في الأثر السابق، وهذا يدلُّ على سماعِه منه، فيرتقي هذا الأثرُ إلى درجة الحَسَن لغيره.

(٦) الخَلاَء: قضاءُ الحاجَة، والمراد به الغَائِط؛ لقرينة البَول.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (خلا) (٧٥/٢)، لسان العرب (خلا) (٢٣٨/١٤).

(٧) تفسير الطبري (٤١٩/٢٢)، وأخرَجَه البيهقيّ في شعب الإيمان (١٣٤/١) رقم (١١١- ١١٣)، وفي الاعتقاد ص (٣٥) من طريق ابن جُرَيج عن ابن المرتَفِع وعن عبد الله بن كثير عن ابن الزبير بمثله، السمعانيّ في تفسيره (٢٥٥/٥)، القرطبيّ في تفسيره (٤٠/١٧).

دراسة الأثرين (١٦٣- ١٦٤):

اختَلفَ المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ على أقوال، وهي:

القول الأول: سبيلُ الغائط والبول، يأكُلُ ويشرَبُ من مدخلٍ واحدٍ، ويُخرِجُ من موضعَينِ، فتلك الآية في النّفس، رُوِي عن ابن الزبير وعليّ بن أبي طالب – رضي الله عنهما –، ومجاهد والسدّي والمسيِّب بن شَرِيك والفرَّاء.

القول الثاني: في تسوِيَة اللهِ تبارك وتعالى مفاصِلَ أيديكم، وأرجُلِكم، وجوارحكم دليلٌ على أنّكم خُلِقتُم لعبادتِه، رُوِي عن قتادة.

القول الثالث: في خلقِكُم من ترابٍ، وجعلِه – تبارك وتعالى – لكُم السمْعَ، والأبصارَ، والأفئدةَ، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠)، قالَه ابنُ زيد.

القول الرابع: في حياتِكم وموتِكم، وفيما يدخُلُ ويخرُجُ من طعامِكم، قالَه السدِّيّ.

القول الخامس: في الكِبَر بعد الشباب، والضَّعْف بعد القوّة، والشَّيْب بعد السَّواد، رُوِي عن الحسن.

القول السادس: في اختلافِ الألسِنَةِ، والصُّوَرِ، والألوانِ، والطَّبائِعِ، رُوِي عن ابن عباس ﷺ.

القول السابع: في خلقِ أنفُسِكُم حين كُنتُم نُطْفةً، ثمّ عَلَقةً، ثمّ مُضْغَةً، ثمّ عِظاماً، ثمّ لَحْماً، ثمّ يُنفَخُ فيه الرُّوح، ففي هذا كُلِّه آيةٌ، قالَه مُقاتِل.

والصَّواب – والله أعلَمُ –: أنّ قوله تعالى: ﴿ **وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ** ﴾ يَعُمُّ كلَّ ما ذُكِرَ من الأقوال، فكُلُّ قولٍ ذُكِرَتْ فيه آيةٌ من آياتِ الله في الإنسان تدُلُّ على قدرته ﷻ، وعظمته، ووحدانيَّتِه.

قال السُّمعانيّ: "والأَولَى أن يُقال: هو سائِرُ الآيات التي في النَّفس ممّا يدلُّ على أنّ لها خالِقاً وصانِعاً". اهـ.
تفسير السمعاني (٥/٢٥٥)

كما أنّ آياتَ الله ﷻ في الأنفُس ليستْ محصورةً فيما ذُكِرَ، فهي أكثَرُ من أن تُحْصَى.

قال الألوسيّ: "وآياتُ الأنفُس أكثَرُ من أن تُحْصَى، وقيل: أُرِيدَ بذلك اختلافُ الألسِنَة، والصُّوَر، والألوان، والطبائِع ...، وقيل: سبيلُ الطَّعام، وسبيلُ الشَّراب، والحقُّ أن لا حَصْرَ". اهـ.
روح المعاني (٩/٢٧)

انظر: معاني القرآن للفراء (٨٤/٣)، تفسير عبد الرزاق (٢٤٤/٢)، تفسير الطبري (٤١٩/٢٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٣١٢/١٠)، الكشف والبيان (١١٣/٩)، تفسير الماوردي (٣٦٧/٥)، تفسير السمعاني (٢٥٥/٥)، تفسير البغوي (٣٧٥/٧)، المحرر الوجيز (١٧٥/٥)، زاد المسير (٣٣/٨)، تفسير القرطبي (٤٠/١٧)، تفسير الخازن (٢٤٤/٦)، تفسير ابن كثير (٤١٩/٧)، فتح الباري (٥٩٩/٨)، اللّباب لابن عادل (٧٤/١٨)، الدر المنثور (٦٧٨/١٣).

○○○○○

سورة الطّور

١٦٥- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ الضُّريس ... عن ابن عباس قال: نزَلتْ سورةُ الطُّور بمكَّة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (١).

(١) الدر المنثور (٦٩١/١٣)، وانظر: فتح القدير (٩٣/٥)، روح المعاني (٢٦/٢٧).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة الطور، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آية مدنيّة اختَلفُوا فيه على قولَينِ، وهما:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الطور: ٤٧)، فهو مدنيّ، نزلَ فيمن قُتِل ببدْرٍ من المشركين، رُوِيَ عن الكلبي.

ولم أقِفْ على مستندٍ لهذا القول غيرَ ما رُوِي عن ابن عباس ﷺ في تفسير العذاب قال: هو القتْلُ ببدْرٍ.

ذكرَه الثعلبيّ في الكشف والبيان (١٣٢/٩), البغويّ في تفسيره (٣٩٤/٧)، ولم أقفْ عليه مسنداً.

وعلى فرض ثُبوته لا يستَلزِمُ مدنيّة الآية؛ فيمكن حملُها على أنّها إخبارٌ بالغيب، وقد رُوِي عن ابن عباس ﷺ بإسنادٍ صحيحٍ أنّه عذابُ القبر.

أخرَجَه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٨/٢)، الطبريّ في تفسيره (٤٨٧/٢٢).

ورُوِي مثله عن البراء بن عازب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وقيل: المراد به الجوعُ والقحْط لقُرَيش سبعَ سِنينَ، رُوِي عن مجاهد، وقيل: المصائِبُ التي تُصِيبُهم في الدنيا من ذهاب الأموالِ والأولادِ، رُوِي عن ابن زيد.

أخرَجَ هذه الأقوالَ الطبريّ في تفسيره، ثمّ قال: "والصَّوابُ من القول في ذلك عندي أن يُقالَ: إنّ الله تعالى ذكره أخبَرَ أنّ للذين ظلمُوا أنفُسَهم بكُفرِهم به عذاباً دونَ يومِهم الذي فيه يُصْعَقُون، وذلك يومُ القِيامة، فعذابُ القبر دونَ يومِ القيامة؛ لأنّه في البرزخ، والجوعُ الذي أصابَ كُفّارَ قريش، والمصائِبُ التي تُصيبُهم في أنفُسِهم وأموالهم وأولادهم دونَ يوم القيامة، ولم يُخَصِّصِ اللهُ نوعاً من ذلك أنّه لهم دونَ يوم القيامة دونَ نوعٍ، بل عَمَّ، فقالَ: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾، فكلُّ ذلك لهم عذابٌ، وذلك لهم دونَ يوم القيامة". اهـ.

تفسير الطبري (٤٨٨/٢٢)

وهذا كلُّه يُضعِّف استثناءَ هذه الآية، والقولَ بمدنيّتها.

والرّاجح – واللهُ أعلَمُ –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القولَ باستثناء شيءٍ منها – كما سبقَ – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنَين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٢٩٣/٤)

انظر: تفسير البغوي (٣٨٢/٧)، المحرر الوجيز (١٨٥/٥)، زاد المسير (٤٥/٨)، تفسير القرطبي (٥٨/١٧)، تفسير البحر المحيط (١٤٣/٨)، تفسير ابن كثير (٤٢٧/٧)، الدر المنثور (٦٩١/١٣)، فتح القدير (٩٣/٥)، روح المعاني (٢٦/٢٧)، التحرير والتنوير (٣٥/٢٧).

○○○○○

سورة النّجم

١٦٦- قال السيوطيّ: أخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن عباسٍ قال: نزَلَتْ سورةُ النّجم بمكّة، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابنِ الزبيرِ مثلَه (١).

(١) الدر المنثور (٥/١٤)، وانظر: فتح القدير (١٠٣/٥).

دراسة الأثر:

سورة النجم مكيّة أم مدنيّة، وعلى القول بمكيّتها أو مدنيّتها هل كلّها كذلك أم فيها استثناء اختَلفَ فيه المفسّرون على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس – رضي الله عنهما –، والحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مدنيّة كلّها، رُوِي عن الحسن البصري.

قال الألوسي: "ولا أرَى صِحّة ذلك عنه أصلاً". اهـ.

روح المعاني (٤٤/٢٧)

قال ابنُ عاشور: "وهو شُذوذٌ". اهـ.

التحرير والتنوير (٨٧/٢٧)

ويرُدُّه ما أخرَجَه البخاريّ عن ابن عباس ﷺ قال: سجَدَ النبيّ ﷺ بالنجم، وسجَد معه المسلمون، والمشركون، والجنّ، والإنس.

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾/ رقم (٤٥٨١).

وقد حصلَ ذلك بمكّة قبل الهِجْرة.

القول الثالث: أنّها مكيّة إلاّ قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ الآية (النجم: ٣٢)، فهو مدنيّ، رُوِي عن ابن عباس ﷺ، وقتادة ومُقاتل.

ولعلَّ السببَ في ذلك ما رُوِي أنّه نزلَ في نَبْهَان التمّار، كان له دُكّان يبيع فيه تمراً – أي بالمدينة –، فجاءتْه امرأةٌ تشْتَري، فقال لها: إنّ داخلَ الدُكّان ما هو خيرٌ من هذا، فلمّا دخلتْ راودَها عن نفسِها، فأبَتْ، فنَدِمَ، فأتَى النبيَّ ﷺ، وقال: ما من شيءٍ يصْنَعُه الرّجلُ إلاّ وقد فعلتُه إلاّ الجِمَاع، فنَزَلتْ هذه الآية.

ذكرَه مقاتل في تفسيره (٢٩٢/٣)، الثعلبيّ في الكشف والبيان (١٦٨/٣)، ولم أقفْ عليه مُسنَداً، كما لم أقفْ في كتُب أسباب النزول على أنّ القصّةَ المذكورة سببٌ لنزول هذه الآية، وارتباطُ الآية الوثيق بما قبلها يدلُّ على أنّها نزلتْ معه، ويُضعِّفُ القولَ بمدنيّتها.

القول الرابع: أنّها مكيّة إلاّ تسع آيات، فهي مدنية، أولها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ (النجم: ٣٣)، ذكرَه السيوطيّ في الإتقان، ولم يعْزُهُ لقائلٍ.

ولعلَّ السببَ في ذلك ما رُوِي عن ابن عباس ﷺ وغيره أنّها نزلتْ في عبد الله بن سعْد بن أبي سَرْح ﷺ حين صَدَّ عثمان بن عفّان ﷺ عن نفقةٍ في الخير كان يُنفِقُها، وذلك قبل أن يُسلِمَ عبدُ الله بن سَعْد ﷺ.

ذكرَه الثعلبيّ في الكشف والبيان (١٥٠/٩)، الواحديّ في أسباب النزول ص (٢٦٧)، ولم أقفْ عليه مسنَداً، وذكرَه ابنُ عطيّة في تفسيره (٢٠٥/٥)، وقال: "وذلك كلُّه عندي باطلٌ، وعثمان ﷺ منزَّهٌ عن مثلِه". اهـ.

أي: عن أن يُصْغِي إلى ابن أبي سَرْح فيما صَدَّه.

والرّاجح – والله أعلَمُ –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين؛ ولأنّ القول بمدنيّة السورة أو ببعض آياتها – كما سبق – ضعيف.

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٣٠٥/٤)

قال الألوسيّ: "وهي مكيّة على الإطلاق". اهـ.

روح المعاني (٤٤/٢٧)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٨٠)، تفسير الماوردي (٣٨٩/٥)، تفسير السمعاني (٢٨٣/٥)، الكشّاف (٤١٨/٤)، زاد المسير (٦٢/٨)، تفسير القرطبي (٨١/١٧)، اللّباب لابن عادل (١٥٢/١٨)، الدر المنثور (٥/١٤)، الإتقان في علوم القرآن (٥٣/١)، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص (١٩٧)، فتح القدير (١٠٣/٥)، روح المعاني (٤٤/٢٧)، التحرير التنوير (٨٧/٢٧).

قوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ النجم/١٥.

١٦٧- قال الثعلبيّ: أخبرَنا الحَسَن بن محمد [١] قال: حدثنا أبو عبد الله عُمَر بن أحمد ابن محمد بن الحَارث القَصَبانيّ [٢] قال: حدثنا عليّ بن العبّاس المِقَانِعِيّ [٣] قال: حدثنا ميمون بن الأَصْبَغ [٤] قال: حدثنا يحيى بن صالح الوُحَاظيّ [٥] قال: حدثنا محمد بن سُلَيمان ابن أبي ضَمْرة النَّصْريّ [٦] قال: حدثنا عبد الله بن أبي قَيْس [٧] قال: سمِعْتُ عبدَ الله بن

دراسة الإسناد:

(١) لم يتبيَّنْ لي - بعد البحث - من هو، فقد روى الثعلبيّ عن عددٍ من الأشخاص بهذا الاسم، وقد زادَ الإشكالَ أنّ هذا الإسناد لم يرِدْ في تفسيره في غير هذا الموضع.

(٢) عُمَر بن أحمد بن عُمَر بن محمد بن الحارث، أبو عبد الله القاضي، المعروف بابن شَق القَصَباني، حدَّث عن عليّ ابن العباس المِقَانِعي الكوفي، وروى عنه الدارقطنيّ، قال البرقانيّ: "لا بأسَ به"، قال الخطيب البغدادي: "ثِقة".
انظر: تاريخ بغداد (٢٥١/١١) رقم (٦٠٠١).

(٣) عليّ بن العباس بن الوليد البَجَليّ المِقَانِعِيّ الكوفيّ، أبو الحسن، توفي سنة عشر وثلاث مائة، قال الدارقطنيّ: "ثِقة، نبيل"، قال الذهبيّ: "الشيخ، المحدِّث، الصّدوق".
انظر: سؤالات السهمي ص (٢٢٦) رقم (٣١٥)، سير أعلام النبلاء (٤٣٠/١٤).

(٤) مَيمُون بن الأَصْبَغ بن الفُرَات النَّصِيبيّ، أبو جَعفَر، توفي سنة ست وخمسين ومائتين، روى له النسائيّ، ذكرَه ابن حبَّان في الثِّقات، قال الذهبيّ: "ثقة"، قال ابن حجر: "مقبول".
انظر: تهذيب الكمال (٢٠٠/٢٩) رقم (٦٣٣٢)، الكاشف (٣١١/٢) رقم (٥٧٥٨)، التقريب رقم (٧٠٤٣).

(٥) يَحيَى بن صالِح الوُحَاظِيّ، أبو زَكرِيّا، ويُقال: أبو صالِح الشّامِيّ الدمَشقِيّ، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين، روى له الجماعة إلاّ النسائيّ، قال ابن معين: "ثقة"، قال الذهبيّ: "الحافِظ، الفقيه"، قال ابن حجر: "صدوق".
انظر: الجرح والتعديل (١٥٨/٩) رقم (٦٥٧)، تهذيب الكمال (٣٧٥/٣١) رقم (٦٨٤٦)، الكاشف (٣٦٨/٢) رقم (٦١٨٣)، التقريب رقم (٧٥٦٨).

(٦) محمد بن سُلَيمَان بن أبي ضَمْرَة النَّصْريّ، وقيل: السُّلَمِيّ، أبو ضَمْرة الحِمْصِيّ، روى له ابن ماجه، ذكرَه ابن حبان في الثقات، قال الذهبيّ: "وُثِّقَ"، قال ابن حجر: "مقبول".
انظر: تهذيب الكمال (٣٠٧/٢٥) رقم (٥٢٦١)، الكاشف (١٧٦/٢) رقم (٤٨٨٦)، التقريب رقم (٥٩٢٩).

(٧) عبد الله بن أبي قَيس، ويقال: عبد الله بن قَيس، أبو الأَسوَد النَّصْريّ الشَّاميّ الحِمْصِيّ، روى له البخاريّ في الأدب المفرد والباقون، قال النسائيّ: "ثقة"، قال الذهبيّ: "صدوق"، قال ابن حجر: "ثقة".
انظر: تهذيب الكمال (٤٦٠/١٥) رقم (٣٤٩٦)، الكاشف (٥٨٦/١) رقم (٢٩٢٣)، التقريب رقم (٣٥٤٧).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ فيه الحسن بن محمد، وهو مجهول.

الزبير يقرَأُ هذه الآيةَ (عندها جَنَّهُ) بالهاء [١].

(١) الكشف والبيان (١٤٤/٩)، وذكرَه ابن خالويه في القراءات الشاذّة ص (١٤٦)، ابن جِنِّي في المحتسب (٢٩٢/٢)، الزمخشريّ في الكشّاف (٤٢٢/٤)، ابن عطيّة في المحرّر الوجيز (١٩٩/٥)، الكرماني في شواذّ القراءات ص (٤٥١)، القرطبيّ في تفسيره (٩٦/١٧)، أبو حيّان في البحر المحيط (١٥٧/٨)، السمين الحلبيّ في الدر المصون (٩٠/١٠)، ابن عادل في اللّباب (١٧٠/١٨)، الشوكانيّ في فتح القدير (١٠٧/٥)، الألوسيّ في روح المعاني (٥١/٢٧).

١٦٨- قال السيوطيّ: وأخرَجَ عبد بن حُمَيد عن عبد الله بن الزبير قال: منْ قرَأَ (جَنَّهُ المأوَى) فأَجَنَّهُ اللهُ؛ إنّما هِيَ ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (١).

(١) الدر المنثور (٢٧/١٤).

دراسة الأثرين (١٦٧- ١٦٨):

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ بوجهَينِ، وهما:

١- (جنَّةُ المأوَى) بالتاء المربوطة، اسمٌ مرفوعٌ، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس وسعد بن أبي وقّاص وعائشة ﷺ، وأبي العالية، وهو قراءةُ الجُمهور، من: الجَنَّات، كقوله في آيةٍ أخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٩).

٢- (جَنَّهُ المأْوَى) بالهاء، فِعْلاً ماضياً، رُوِي عن ابن الزبير وعليّ وأبي الدَّرداء وأبي هُريرة وأنسٍ ﷺ، ومُجاهد وقتادة وزِرّ بن حُبَيشٍ ومحمد بن كعب القُرظي ومجاهد وأبي سَبْرَة الجُهَني، من: أجَنَّه، أي: سَتَره إيواءُ اللَّهِ تعالى، وقيل: ضَمَّه المبيتُ واللَّيلُ، وقيل: جَنَّه بظَلالِه، ودَخَلَ فيه.

قال ابنُ جنّي: "يُقال: جنَّ عليه الليلُ، وأجنَّه الليلُ، وقالوا أيضاً: (جَنَّه) بغير هْمزٍ، ولا حرف جرٍّ ...، والمعنى الجامع لتصريف (ج ن ن) أينَ وقعتْ إنّما هو الاستخفاء والسَّتْر". اهـ.

المحتسب (٢٩٢/٢)

والاختيار: الوجه الأول؛ فهو قراءة سبعيّة متواتِرة، والقراءة بالهاء شاذَّةٌ، لم يُقرَأْ بها في العشر.

قالَ الفرّاءُ: "وقد ذُكِر عن بعضهم: (جَنَّه الْمَأْوَى) يُريدُ (أجَنَّه)، وهي شاذّةٌ". اهـ.

معاني القرآن (٩٧/٣)

قال النّحّاس: "فأمّا من قرَأَ (جَنَّه المأْوَى) فتقدُيره: جنَّه سوادُ اللّيل، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ، قد أنكَرَها الصحابة سعد بن أبي وقّاص وابن عباس وابن عمر، وقال ابنُ عباس: هي مثل: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، فهذه حُجّةٌ بيِّنةٌ مع إجماع الجماعة الذين تقومُ بهم الحُجّة، وأيضاً فإنّه يُقال: أجَنَّه اللّيل، وجنَّ عليه، ولُغةٌ شاذّة (جنَّهُ اللَّيلُ)". اهـ.

إعراب القرآن (٢٧١/٤)

انظر: معاني القرآن للفراء (٩٧/٣)، القراءات الشاذّة ص (١٤٦)، تفسير السمرقندي (٣٤١/٣)، المحتسب لابن جنّي (٢٩٢/٢)، الكشف والبيان (١٤٤/٩)، الكشّاف (٤٢٢/٤)، المحرر الوجيز (١٩٩/٥)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٤٥١)، تفسير الرازي (٢٥٢/٢٨)، تفسير القرطبي (٩٦/١٧)، تفسير البحر المحيط (١٥٧/٨)، الدر المصون (٩٠/١٠)، اللّباب لابن عادل (١٧٠/١٨)، الدر المنثور (٢٧/١٤)، فتح القدير (١٠٧/٥)، روح المعاني (٥١/٢٧).

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ النجم/١٩.

١٦٩- قال القُرطبيّ: وقرَأَ ابنُ عباسٍ وابنُ الزبير ... (اللاَّتَّ) بتشديد التَّاء [١].

(١) تفسير القرطبي (١٠٠/١٧)، وانظر: فتح القدير (١٠٨/٥).

دراسة الأثر:

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿ٱللَّٰتَ﴾ بوجهَينِ، وهما:

١- (اللاَّت) بتخفيف التّاء، وهو قراءةُ الجمهور، على أنّه اسمُ صنمٍ لثَقيف اتَّخذُوه من دون الله، وكانوا يشتَقُّون لأصنامهم من أسماء الله تعالى.

قال الطبريّ: "وهي من (الله) أُخِفَّتْ فيه التاء، فأُنِّثتْ، كما قيل: (عَمْروٌ) للذكر، والأنثى: (عَمْرَةٌ)، وكما قيل للذكر: عبّاس، ثمّ قيل للأنثى: عبّاسَة، فكذلك سمَّى المشركون أوثانَهم بأسماء الله تعالى ذكرُه، وتقدَّستْ أسماؤُه، فقالوا من (الله): اللاَّت، ومن (العزيز): العُزَّى; وزعَمُوا أنّهنّ بناتُ الله، تعالَى اللهُ عمّا يقولون وافتَرَوا". اهـ.

تفسير الطبري (٥٢٢/٢٢)

٢- (اللاّتَّ) بتشديد التّاء، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، ومجاهد وحُمَيد وأبي صالح ومنصور بن المُعْتَمِر وأبي الجَوْزَاء وطلحة والأعمَش والسَّخْتِيَانيّ وأبي رَزين وأبي عبد الرحمن السُّلَميّ والضحّاك وابن السُّمَيفِع وابن يَعْمُر، وقرَأَ بها رُويس عن يعقوب، على أنّه اسمُ فاعل من (لتَّ): إذا عَجَنَ، وهو صِفةٌ للوَثَن الذي عبَدُوه، قالوا: كانَ اللاّتُ رجُلاً يلُتُّ سويق الحَاجّ، فلما مات عكَفُوا على قبره، فعبدُوه، ورُوِي هذا القول عن ابن عباس ﷺ.

انظر: صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾/ رقم (٤٥٧٨).

وقيل: كان يجلِسُ على حجرٍ، فلمّا ماتَ سُمِّيَ الحجَرُ باسمه، وعُبِدَ من دون الله؛ إجلالاً لذلك الرجل، وقيل: كان الحجَرُ على صورته، إلى غير ذلك من الأقوال.

والاختيار: الوجهُ الأوّل، فهو قراءة سبعيّة متواترة، وما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ شاذٌّ، لم يُقرَأْ به في العشر.

قال الطبريّ: "وأَولَى القراءتَينِ بالصَّواب عندنا في ذلك قراءةُ من قرَأه بتخفيف التَّاء ...؛ لإجماع الحُجَّة من قُرّاء الأمصار عليه". اهـ.

تفسير الطبري (٥٢٤/٢٢)

انظر: معاني القرآن للفرّاء (٩٧/٣)، تفسير الطبري (٥٢٢/٢٢)، تهذيب اللغة (لتّ) (١٧٩/١٤)، القراءات الشاذّة ص (١٤٧)، تفسير السمرقندي (٣٤٢/٣)، المحتسب لابن جنّي (٢٩٣/٢)، الكشف والبيان (١٤٤/٩)، تفسير الماوردي (٣٩٧/٥)، تفسير البغوي (٤٠٧/٧)، الكشّاف (٤٢٣/٤)، المحرر الوجيز (٢٠٠/٥)، شواذّ القراءات للكرماني ص (٤٥١)، زاد المسير (٧١/٨)، التبيان في إعراب القرآن (١١٨٧/٢)، تفسير القرطبي (١٠٠/١٧)، تفسير البحر المحيط (١٥٨/٨)، تفسير ابن كثير (٤٥٥/٧)، لسان العرب (لتت) (٨٣/٢)، النشر في القراءات العشر (٣٧٩/٢)، الدر المنثور (٣٠/١٤)، تاج العروس (لتت) (٧٤/٥)، فتح القدير (١٠٨/٥)، روح المعاني (٥٥/٢٧).

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم/٣٢.

١٧٠- قال الطبريّ: حدثنا ابنُ حُمَيد (١) قال: ثنا مِهْران (٢) عن سُفيان (٣) عن جابِر (٤) عن عَطاء (٥) عن ابنِ الزبير ﴿**إِلَّا ٱللَّمَمَ**﴾ قال: ما بينَ الحَدَّينِ: حدِّ الدنيا (٦) وعذابِ الآخرة (٧) (٨).

دراسة الإسناد:

(١) محمد بن حُمَيْد بن حيَّان التَّمِيمِيّ، حافظ، ضعيف، تقدَّم في الأثر (١٦).

(٢) مِهْران بن أبي عُمر الرازيّ، صدوق، له أوهام، سَيِّء الحفظ، تقدَّم في الأثر (١٦٤).

(٣) سُفيان بن سَعِيد بن مَسروق الثَّوري، ثِقَة، حافظ، فقيه، تقدَّم في الأثر (١١).

(٤) جابِر بن يَزيد بن الحارِث الجُعْفيّ، أبو عبد الله الكوفيّ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: غير ذلك، روى له أبو داود والترمذيّ وابن ماجه، قال النسائيّ: "متروك الحديث"، قال الذهبيّ: "وثَّقَه شُعبَة فشَذَّ، وتَرَكَه الحُفّاظ"، قال ابن حجر: "ضعيف، رافضيّ".

انظر: تهذيب الكمال (٤/٤٦٥) رقم (٨٧٩)، الكاشف (١/٢٨٨) رقم (٧٣٩)، التقريب رقم (٨٧٨).

(٥) عَطاء بن أبي رَبَاح القُرَشِيّ، ثِقَة، فقِيه، لكنّه كثيرُ الإرسال، تقدَّم في الأثر رقم (١٢).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ فيه محمد بن حُمَيد، ومهران، وجابِر الجُعْفِيّ، وهم ضعفاء.

(٦) كالسرقة، والزنا، وقذف المحصنات، وشُرب الخمْر فرضَ اللهُ عقوبتَها في الدنيا.

(٧) كأكلِ مال اليتيم، وقتل النفس، والتولِّي يومَ الزحْف أوعَدَ الله عليها العذابَ في الآخرة.

(٨) تفسير الطبري (٢٢/٥٣٧)، وأخرَجَه ابن أبي حاتم في العِلل (٢/٧٨) رقم (١٧٢٧) من طريق سُفيان الثوري عن عبد الملك عن عطاء عن ابن الزبير بلفظ: (اللَّمَم: ما بينَ الحدَّين: الرَّجم والجَلْد)، وقال أبو حاتم: "هو حديث مُنكَر". اهـ.

وذكَرَه الحربيّ في غريب الحديث (لم) (١/٣٢٠)، الثعلبيّ في الكشف والبيان (٩/١٤٩)، ابنُ كثير في تفسيره (٧/٤٦٢)، السيوطيّ في الدر المنثور (١٤/٣٧)، وعزاه لابن أبي حاتم.

١٧١- قال السمرقنديّ: وقال عبد الله بن الزبير: (اللَّمَمُ): القُبْلَةُ واللَّمْسُ باليَد [١].

(١) تفسير السمرقندي (٣/٣٤٤).

دراسة الأثرين (١٧٠- ١٧١):

اختَلفَ المفسّرون في تفسير ﴿ٱللَّمَمَ﴾ على أقوالٍ، وهي:

القول الأول: هو ما بينَ الحدَّينِ: حدّ الدنيا وعذاب الآخرة، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة ﷺ، وقتادة عكرمة والضحّاك وابن زيد وطاؤوس ونافع بن جُبَير ومُقاتل والشعبي والكلبي.

القول الثاني: هو ما دونَ الجماع من النظْرة، والغمْزة، والقُبْلة، والمباشرة، ونحو ذلك، رُوِيَ عن ابن الزبير وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة و أبي سعيد الخدري وحذيفة ﷺ، وعطاء ومسروق والشعبي.

وهذان القولانِ مؤدّاهما واحدٌ أنّ (اللَّمَمَ): الصغيرُ من الذّنب، وهو قولُ جمهور المفسّرين، من قولهم: ألمَّ بمكانٍ: إذا نزلَ به نزولاً من غير لُبْثٍ طويلٍ، وألمَّ بالطّعام: إذا قَلَّ أكلُه منه، وأصلُ اللَّمَم: ما قَلَّ وصَغُر، ومنه: (اللَّمَمُ) بمعنى: المسّ من الجُنُون.

القول الثالث: هو ما ألَمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهليّة قبل الإسلام، رُوِيَ عن ابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة ﷺ، وزيد بن أسلم وابن زيد.

القول الرابع: هو ما لَمَّ على القلب، أي: خطَر من غير مُواقَعَة، من قولك: ألْمَمْتُ بكذا: إذا قاربتُه من غير مُواقَعَة، والمراد به لَمَّةُ الشّيطان، رُوِي عن سعيد بن المسيّب والسدّي.

القول الخامس: هو النَّظْرة من غير تعمُّدٍ، فإن أعادَ النَّظْرةَ فليس بلَمَمٍ، بل هو ذنبٌ، رُوِي عن الحسين بن الفضل.

والاستثناء على جميع هذه الأقوال منقطع، بمعنى: أنّ اللَّمَمَ ليس من جنس الكبائر والفواحش.

القول السادس: هو أن يُلِمَّ بالفاحشة، ثمّ يتوبَ، رُوِي عن ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، ومجاهد والحسن وأبي صالح وعبد الله بن قاسم والسدّي والزهري.

من قولك: ألمِمْتُ به: إذا زُرتَه، وانصرَفتَ، وأصلُ اللَّمَم والإلمام: هو ما يعمَلُه الإنسانُ المرَّةَ بعد المرَّة، والحينَ بعد الحينِ، ولا يتعمَّق فيه، ولا يُقيم عليه، ومنه قولُ الشاعر:

إن تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغفِرْجَمّاً ... وأيُّ عَبْدٍ لكَ لاَ ألمَّا

اختُلِف في قائله، فنُسِب لأُميّة بن الصَّلْت. انظر: تهذيب اللغة (لم) (١٥/٢٥٠)، لسان العرب (لمم) (١٢/٥٥٠)، تاج العروس (لمم) (٣٣/٤٣٥). ونُسِب لأبي خِراش الهُذَلي. انظر: لسان العرب (جمم) (١٢/١٠٤)، تاج العروس (جمم) (٣١/٤١٨).

ودليلُ هذا التأويل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية (آل عمران: ١٣٥)، ثمّ قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (آل عمران: ١٣٦)، فضمَّنَ لهم المغفِرةَ؛ وقال في آية النجم عَقيبَ ﴿ٱللَّمَمَ﴾: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم: ٣٢).

القول السابع: هو ما دونَ الشّرك، رُوِي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

قال ابنُ عطيّة: "وهذا عندي لا يصِحُّ عن عبد الله بن عمرو". اهـ.

المحرر الوجيز (٥/٢٠٤)

والاستثناء على هذينِ القولَينِ متَّصِلٌ، بمعنى: أنّ (اللَّمَمَ) من جنس الكبائر والفواحش.

والرّاجح – والله أعلَمُ –: ما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ أنّ (اللَّمَم): ما بين الحدَّينِ، وهو الصغيرُ من الذّنب، والاستثناء منقَطعٌ؛ فقد دلَّ عليه القرآن والسنّة، وتعضُدُه اللُّغة.

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، دلّتِ الآيةُ على أنّ المعفو عنه هو الصغائر دونَ الكبائر.

أخرَجَ الشيخانِ بسندَيهما عن ابن عباس ﷺ قال: ما رَأيتُ شيئاً أشْبَهَ باللَّمَم ممّا قال أبو هريرة عن النبيّ ﷺ: "إنّ الله كتَبَ على ابن آدم حظَّه من الزِّنا أدْرَكَ ذلك لا مُحالةَ، فزِنا العينِ النَّظرُ، وزِنا اللِّسانِ المنطِقُ، والنَّفسُ تمنَّى وتشْتَهي، والفرْجُ يُصدِّق ذلك كلَّه أو يُكذِّبُه".

صحيح البخاري/ كتاب: الاستئذان/ باب: زنا الجوارح دون الفرج/ رقم (٥٨٨٩)، صحيح مسلم/ كتاب: القدر/ باب: قُدِّر على ابن آدم حظُّه من الزِّنا وغيره/ رقم (٢٦٥٧)، واللفظ للبخاري.

وهو اختيارُ غير واحدٍ من المفسّرين.

قال الطبريّ: "وأَولَى الأقوالِ في ذلك عندي بالصَّواب قولُ من قال (إلاّ) بمعنى الاستثناء المنقطع، ووَجَّهَ معنى الكلام إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجِبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة؛ فإنّ ذلك معفُوٌّ لهم عنه، وذلك عندي نظيرُ قوله جل ثناؤه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، فوعَدَ جلَّ ثناؤُه باجتناب الكبائر العفْوَ عمَّا دونها من السيئات". اهـ.

تفسير الطبري (٥٣٨/٢٢)

قال النّحّاس: "من أصحِّ ما قيل فيه، وأجْمَعِه لأقوال العلماء أنّه الصغائر، ويكونُ مأخوذاً من: لَمَمْتُ بالشَّيء: إذا قلَّلْتُ نيلَه". اهـ.

إعراب القرآن (٢٧٥/٤)

قال القرطبيّ: "﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: وهي الصَّغائِر التي لا يسلَمُ من الوُقوع فيها إلاّ من عصَمَه اللهُ، وحَفِظَه". اهـ.

تفسير القرطبي (١٠٦/١٧)

والقولُ أنّ المراد باللَّمَم: الإلمام بالكَبيرة، ثمّ التوبة منها، وعدمُ العَود إليها قولٌ قويٌّ أيضاً؛ لقوّة أدلّته.

قال ابنُ القيّم: "والصَّحيح قولُ الجمهور أنّ اللَّمَمَ صغائرُ الذنوب، كالنظْرة، والغمْزة، والقُبْلة، ونحو ذلك، هذا قولُ جمهور الصحابة ومن بعدهم ...، ولا يُنافي هذا قولَ أبي هريرة وابن عباس في الرواية الأخرى: (إنّه يُلِمّ بالكبيرة، ثمّ لا يعودُ إليها)؛ فإنّ (اللَّمَم) إمّا أنّه يتناولُ هذا وهذا، ويكونُ على وجهَينِ". اهـ.

مدارج السالكين (٣١٧/١)

انظر: تفسير الطبري (٥٣٢/٢٢)، تهذيب اللغة (لم) (٢٥٠/١٥)، أحكام القرآن للجصّاص (٢٩٧/٥)، تفسير السمرقندي (٣٤٤/٣)، الكشف والبيان (١٤٨/٩)، تفسير الماوردي (٤٠٠/٥)، المفردات في غريب القرآن (لم) ص (٤٥٤)، تفسير البغوي (٤١١/٧)، المحرر الوجيز (٢٠٤/٥)، تفسير السمعاني (٢٩٧/٥)، زاد المسير (٧٥/٨)،

تفسير الرازي (٨/٢٩)، تفسير القرطبي (١٠٦/١٧)، تفسير الخازن (٢٦٥/٦)، تفسير البحر المحيط (١٦٢/٨)، مدارج السالكين (٣١٦/١)، تفسير ابن كثير (٤٦٠/٧)، لسان العرب (لمم) (٥٥٠/١٢)، تفسير الثعالبي (٢٢٨/٤)، اللّباب لابن عادل (١٩٤/١٨)، الدر المنثور (٣٦/١٤)، تاج العروس (لمم) (٤٣٥/٣٣)، فتح القدير (١١٣/٥)، روح المعاني (٦١/٢٧).

○○○○○

سورة القمر

١٧٢- قال السيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ الضُّريس ... عن ابن عباس قال: نزَلتْ بمكّة سورةُ اقتَرَبتِ السَّاعة (١)، وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن ابن الزبير مثلَه (٢).

---

(١) تُسَمَّى هذه السورة سورة (اقتربت) بأوّل لفظةٍ منها.

انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/١٥٤).

(٢) الدر المنثور (١٤/٦٣)، وانظر: فتح القدير (٥/١١٩).

دراسة الأثر:

لا خِلافَ بين المفسّرين في مكيّة سورة القمر، لكن هل هي مكيّة كلّها أم فيها آيات مدنيّة اختَلفُوا فيه على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس - رضي الله عنهما -، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر: ٤٥)، فهو مدنيّ، رُوِي عن مقاتل.

القول الثالث: أنّها مكيّة إلاّ ثلاث آيات، فهي مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر: ٤٤- ٤٦)، رُوِي عن مقاتل.

قال مُقاتل: ضربَ أبو جهلٍ فرسَه يومَ بدر، فتقَدَّم من الصفِّ، وقال: نحنُ ننتَصِرُ اليوم من محمّد وأصحابه؛ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾.

ذكرَه الثعلبيّ في الكشف والبيان (٩/١٧٠)، القرطبيّ في تفسيره (١٧/١٤٦)، ولم أقفْ عليه مُسنَداً.

والصّواب - والله أعلَم -: أنّ الآية لم تنزلْ يوم بدر، وإنّما تلاها النبيّ ﷺ ذلك اليوم.

أخرَجَ عبد الرزاق بسنده عن عكرمة أنّ عمر ﷺ قال: لما نَزلتْ ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ ﴾ جعلتُ أقولُ: أيُّ جمعٍ يُهزَمُ؟ فلمّا كان يومُ بدْرٍ رأيتُ النبيّ ﷺ يَثِبُ في الدِّرْع، وهو يقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾.

تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٩)، وأخرَجَه الطبريّ في تفسيره (٢٢/٦٠٢)، ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/٤٨١)، وإسناده صحيح إلى عكرمة.

ذكرَه ابن حجر في فتح الباري (٨/٦١٩)، وقال: "فكأنّ ابن عباس حملَ ذلك عن عمر، وكأنّ عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر". اهـ.

وهذا صريحٌ في نزول الآية قبل يوم بدر، فهي آية مكيّة تأخّر حكمُها حتّى يوم بدر.

ويدلُّ على مكيّة الآية ما أخرَجَه البخاريّ بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد أُنزِلَ على محمّد ﷺ بمكّة، وإنّي لجاريةٌ ألْعَبُ ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر: ٤٦).

صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: قوله: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾/ رقم (٤٥٩٥).

القول الرابع: أنّها مكيّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر: ٥٤) والذي يَليه، فالآيتان مدنيّتان، ذكرَه السيوطيّ في الإتقان، ولم يعزُه لقائلٍ، ولم أقِفْ على مُستنَدٍ لهذا القول.

والرّاجح – والله أعلَمُ –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القول باستثناء شيءٍ منها – كما سبق– ضعيف.

قال السمرقنديّ: "كلّها مكيّة". اهـ.

تفسير السمرقندي (٣٤٩/٣)

قال ابنُ أبي زمنين: "وهي مكيّة كلّها". اهـ.

تفسير ابن أبي زمنين (٣١٥/٤)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٨٠)، تفسير الماوردي (٤٠٨/٥)، الكشّاف (٤٣١/٤)، المحرر الوجيز (٢١١/٥)، زاد المسير (٨٧/٨)، تفسير القرطبي (١٢٥/١٧)، تفسير الثعالبي (٢٣٣/٤)، اللّباب لابن عادل (٢٢٩/١٨)، الإتقان في علوم القرآن (٥٣/١)، الدر المنثور (٦٣/١٤)، فتح القدير (١١٩/٥)، روح المعاني (٧٣/٢٧)، التحرير والتنوير (١٦٥/٢٧).

○○○○○

سورة الرّحمن

١٧٣- قال السّيوطيّ: وأخرَجَ ابنُ مردَويه عن عبد الله بن الزبير قال: أُنزِلَ بمكَّة سورةُ الرحمن (١).

(١) الدر المنثور (١٤/١٠٠)، فتح القدير (٥/١٣٠)، روح المعاني (٢٧/٩٦).

دراسة الأثر:

سورة الرحمن مكيّة أم مدنيّة، وعلى القول بمكيّتها أو مدنيّتها هل كلّها كذلك أم فيها استثناء اختَلفَ فيه المفسّرون على أقوال، وهي:

القول الأول: أنّها مكيّة كلّها، رُوِي عن ابن الزبير وابن عباس وعائشة ﷺ، والحسن وعروة وعكرمة وعطاء وجابر ومُقاتل، وهو قولُ جمهور المفسّرين.

القول الثاني: أنّها مدنيّة كلّها، نزلتْ في صلح الحُدَيبِيَة عندما أَبَى سهيلُ بن عَمْرٍو أن يُكتَبَ في رسم الصُّلح ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، رُوِي عن ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما –، ومُقاتل.

لم أقِفْ عليه في التفاسير المسنَدة، ولم تُذكرْ في كتُب أسباب النزول فيما وقفتُ عليه، والذي عليه بعضُ المفسّرين أنّها نزلتْ عندما قال كفّارُ مكّة: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ (الفرقان: ٦٠)، وهذا إن صحَّ قَوَّى القولَ بمكيّة السورة؛ لقُرب نزولها من سورة الفرقان، وهي مكيّة.

القول الثالث: أنّها مكيّة إلاّ آية، فمدنيّة، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية (الرحمن: ٢٩)، رُوِي عن ابن عباس ﷺ.

ولعلَّ السببَ في استثناء هذه الآية ما رُوِي عن مُقاتِل في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) قال: نزلتْ في اليهود حينَ قالوا: إنّ الله لا يقْضِي يومَ السبت شيئاً.

تفسير مقاتل (٣/٣٠٦)، ولم يُروَ هذا القولَ عن غير مقاتل فيما وقفتُ عليه.

وأخرَجَ ابنُ ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: "من شأْنِه أن يغْفِرَ ذنباً، ويُفَرِّجَ كرْباً، ويرفَعَ قوماً، ويَخفِضَ آخَرِينَ".

سنن ابن ماجه/ كتاب: المقدمة/ باب: فيما أنكرت الجهمية/ رقم (٢٠٢)، وحسَّنه الألبانيّ.

انظر: صحيح سنن ابن ماجه (١/٨٦) رقم (١٦٨).

وأخرَجَه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدّة ص (١٣) رقم (٥)، ابن أبي عاصم في السنّة (١/١٢٩) رقم (٣٠١)، البزار في مسنده (١٠/٧٣) رقم (٤١٣٧)، ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٢٥) رقم (١٨٧٣٧)، ابن حبان في صحيحه (٢/٤٦٤) رقم (٦٨٩)، الطبرانيّ في المعجم الأوسط (٣/٢٧٨) رقم (٣١٤٠)، وفي مسند الشاميين (٣/٢٥٥) رقم (٢٢٠٢)، أبو الشيخ في العظمة (٢/٤٧٩)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٥٢)، البيهقيّ في شعب الإيمان (٢/٣٥) رقم (١١٠١)، وفي الأسماء والصفات (١/١٩٣) رقم (١٢٩).

وهذا يدُلُّ على أنّ الآيةَ لم تنزِلْ في اليهود، بل هي عَامّةٌ، وبالتالي دعوى مدنيّة هذه الآية ضعيفة.

والرّاجح – والله أعلَم –: أنّها مكيّة كلّها، كما رُوِي عن ابن الزبير ﷺ؛ فهو قولُ جمهور المفسّرين، ولأنّ القول بمدنيّة السورة أو ببعضها – كما سبق – ضعيف.

ويُؤيِّد مكيّة السورة ما أخرَجَه الترمذيّ بسنده عن جابر ﷺ قال: خرَجَ رسولُ الله ﷺ على أصحابه، فقرأَ عليهم سورةَ الرحمن من أوّلها إلى آخرها، فسَكتُوا، فقال: "لقد قرأْتُها على الجِنّ ليلةَ الجِنّ، فكانوا أحسنَ مردوداً منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قالوا: لا بشيءٍ من نِعَمِك رَبَّنا نُكَذِّبُ، فلَكَ الحمدُ".

سنن الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الرحمن/ رقم (٣٢٩١)، وحسَّنه الألبانيّ.

انظر: صحيح سنن الترمذي (٣٤٢/٣) رقم (٣٢٩١).

وأخرَجَه ابن أبي الدنيا في الشُّكر ص (٢٧) رقم (٦٩)، العقيليّ في الضعفاء الكبير (٣٣٥/٢)، أبو الشيخ في العظمة (١٦٦٦/٥)، وفي طبقات المحدثين (٩٠/٣) رقم (٢٦٤)، الإسماعيليّ في معجم أسامي الشيوخ (٣٤٣/١) رقم (٢٥)، الحاكم في المستدرك (٥١٥/٢) رقم (٣٧٦٦)، وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيّ، أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٢١/١) رقم (٣٣٣)، البيهقيّ في شُعب الإيمان (٤٨٩/٢) رقم (٢٤٩٣)، وفي دلائل النبوّة (٢٣٢/٢).

وقصّة استماع الجنّ القرآنَ من النبيّ ﷺ كانتْ بمكّة قبل الهِجْرة، ويدلُّ عليه ما أخرَجَه البخاريّ بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: انطلقَ النبيّ ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامِدينَ إلى سوق عُكاظٍ، وقد حيلَ بينَ الشياطين وبين خبَرِ السّماء، وأُرسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ، فرجعَتِ الشّياطينُ إلى قومهم، فقالوا: ما لكُم؟ فقالوا: حِيلَ بيننا وبين خبَرِ السماء، وأُرسِلَتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما حالَ بينكُم وبين خبَرِ السماء إلاّ شيءٌ حَدَثَ، فاضْرِبُوا مشارقَ الأرض ومغارِبَها، فانْظُرُوا ما هذا الذي حالَ بينكم وبين خبَرِ السَّماء، فانصرَفَ أولئك الذين توجَّهُوا نحو تِهامَةَ إلى النبيّ ﷺ وهو بِنخْلَةَ عامدينَ إلى سوق عُكاظٍ وهو يُصَلّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلمّا سمِعُوا القرآنَ استَمَعُوا له، فقالوا: هذَا واللهِ، الذي حالَ بينكُم وبينَ خبَرِ السَّماءِ.

صحيح البخاري/ كتاب: الأذان/ باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر/ رقم (٧٣٩).

كما يُؤيِّدُها أيضاً ما أخرَجَه أحمد بسنده عن عروة بن الزبير قال: أوَّلُ من جهَرَ بالقرآن بمكّة بعد النبيّ ﷺ ابنُ مسعودٍ، وذلكَ أنّ الصحابة قالوا: ما سمِعَتْ قريشٌ هذا القرآنَ يُجْهَرُ به قطّ، فمنْ رجلٌ يُسْمِعْهُمُوه؟ فقالَ ابنُ مسعودٍ: أنا، فقالوا نخْشَى عليكَ، وإنّما نريدُ رجلاً له عشيرةٌ يمنَعُونَه، فأبَى، ثمّ قام عند المقام، فقرأَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، ثمّ تمادَى بها رافِعاً صوتَه، وقريشٌ في أندِيَتِها، فتأَمَّلُوا، وقالوا: ما يقولُ ابنُ أمِّ عبدٍ؟ قالوا: هو يقولُ الذي يزعُمُ محمّدٌ أنّه أُنزِلَ عليه، ثمّ ضربُوه حتَّى أثَّرُوا في وجهِه.

فضائل الصحابة (٨٣٧/٢) رقم (١٥٣٥)، وهو مرسل، وإسناده صحيح إلى عروة.

قال القرطبيّ بعد أن أوردَ الروايتَينِ: "وفي هذا دليلٌ على أنّها مكيّة، والله أعلَمُ". اهـ.

تفسير القرطبي (١٥١/١٧)

قال ابنُ عاشور: "والأصَحُّ أنّها مكيّة كلّها". اهـ.

التحرير والتنوير (٢٢٨/٢٧)

انظر: الناسخ والمنسوخ للنحّاس ص (٦٨٠)، الناسخ والمنسوخ للمقري ص (١٧١)، تفسير الماوردي (٤٢٢/٥)، تفسير السمعاني (٣٢٣/٥)، المحرر الوجيز (٢٢٣/٥)، زاد المسير (١٠٥/٨)، تفسير القرطبي (١٥١/١٧)، تفسير الخازن (٢/٧)، تفسير البحر المحيط (١٨٦/٨)، تفسير النيسابوري (٢٢٥/٦)، الدر المنثور (١٠٠/١٤)، الإتقان في علوم القرآن (٥٤/١)، فتح القدير (١٣٠/٥)، روح المعاني (٩٦/٢٧)، التحرير والتنوير (٢٢٨/٢٧).

قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن/٤٦.

١٧٤- قال السّمعانيّ: عن ابن الزبير أنّ الآيةَ نزَلتْ في أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ (١).

(١) تفسير السمعاني (٣٣٣/٥)، وانظر: تفسير البحر المحيط (١٩٥/٨)، روح المعاني (١١٧/٢٧).

دراسة الأثر:

اختَلفَ المفسّرون فيمن نزلتْ هذه الآية على قولَين، وهما:

القول الأول: أنّها نزلتْ في أبي بكر الصدِّيق، رُوِيَ عن ابن الزبير ﷺ، وعطاء الخُراساني وابن شَوذَب.

أخرَجَ أبو الشيخ بسنده عن عطاء أنّ أبا بكر الصدّيق ﷺ ذَكَرَ ذاتَ يومٍ، وفكَّر في القيامة، والموازين، والجنّة والنار، وصفوف الملائكة، وطيّ السّموات، ونسْف الجِبال، وتكوير الشمس، وانتشار الكواكب، فقال: ودِدْتُ أنّي كنتُ خَضْراءَ من هذا الخَضِر تأتي عليّ بهيمةٌ، فتأْكُلُني، وأنّي لم أُخْلَقْ، فنزلتْ هذه الآيةُ ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** ﴾.

العظمة (٣٠٧/١)، وإسناده ضعيف؛ فيه كِنانَة بن جَبَلَة، كذَّبَه يحي بن معين، وفيه عثمان بن عطاء، وهو ضعيفٌ.

وقال الضحّاك: بل شَرِب ذاتَ يومٍ لبناً على ظمَأ، فأعْجَبَه، فسأَل عنه، فأُخبِرَ عنه أنّه من غير حِلٍّ، فاستَقاءَه، ورسولُ الله ﷺ ينظُرُ إليه، فقال: "رَحِمَكَ الله، لقد أُنزِلتْ فيك آيةٌ"، وتلاَ عليه هذه الآيةَ.

ذكره الماوردي في تفسيره (٤٣٧/٥)، السمعانيّ في تفسيره (٣٣٣/٥)، القرطبيّ في تفسيره (١٧٧/١٧)، ولم أقِفْ عليه مُسنداً.

القول الثاني: أنّها نزلتْ في الرَّجل الذي أوصَى بَنيهِ: أنّي إذا مِتُّ أحْرِقُوني، واسْحَقُوني، وذُرُّوني في الرّيح، لعلّي أُضِلُّ اللهَ.

أخرَجَ ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥٠١/٧) بسنده عن عطيّة بن قَيس قال: نزلَتْ في الذي قالَ: أحْرِقُوني بالنّار لعلّي أُضِلُّ اللهَ، قال: تابَ يوماً وليلةً بعد أن تكلَّم بهذا، فقَبِلَ اللهُ منه، وأدخلَهُ الجنَّةَ.

إسناده ضعيف؛ فيه تدليس بقيَّة بن الوليد، وهومشهور بالتدليس عن الضعفاء، وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيفٌ.

والصّواب - والله أعلَمُ -: أنّ الآية عامَّةٌ، ولم تنْزِلْ لسببٍ معيَّن؛ لعدم ورود دليلٍ صحيح يُخَصِّصُ عمومَ هذه الآية، فكلُّ من خافَ مقامَ ربّه، وابتعَدَ عن مَحارمه فلَه جنّتانِ.

قال ابنُ كثيرٍ: "والصَّحيحُ أنَّ هذه الآيةَ عامَّةٌ ...، يقولُ تعالى: ولمن خافَ مقامَه بين يدَيِ اللهِ ﷻ يومَ القيامة، ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ (النازعات: ٤٠)، ولم يطْغَ، ولا آثَرَ الدنيا، وعَلِمَ أنَّ الآخرة خيرٌ وأبْقَى، فأدَّى فرائضَ اللهِ، واجتنَبَ محارمَه فلَه يومَ القيامة عند ربّه جنَّتانِ". اهـ.

تفسير ابن كثير (٥٠١/٧)

انظر: تفسير الماوردي (٤٣٧/٥)، تفسير السمعاني (٣٣٣/٥)، تفسير القرطبي (١٧٧/١٧)، تفسير ابن كثير (٥٠١/٧)، اللّباب لابن عادل (٣٤٢/١٨)، لباب النقول ص (٢٠٣)، الدر المنثور (١٣٣/١٤)، روح المعاني (١١٧/٢٧).

قوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ الرحمن/٦٤.

١٧٥- قال الطبريّ: حدثني موسى بن عبد الرحمن المِسْروقيّ (١) قال: أخبرَنا محمد ابن بِشْر (٢) قال: ثنا إسماعيلُ بن أبي خالدٍ (٣) عن جارِيَة بن سُلَيمانَ المِسْلِي (٤) قال: سمِعْتُ ابنَ الزبَير وهو يُفَسِّرُ هذهِ الآيةَ على المِنبَر، ويقول: هل تَدْرُونَ ما ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾؟ خَضْرَاوَانِ مِن الرِّيِّ (٥) (٦).

دراسة الإسناد:

(١) موسى بن عبد الرحمن بن سَعيد الكِنْديّ المِسْروقيّ، أبو عيسى الكوفيّ، توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين، روى له الترمذيّ والنسائيّ وابن ماجه، وثَّقَه النسائيّ والذهبيّ وابن حجر.
انظر: تهذيب الكمال (٩٨/٢٩) رقم (٦٢٧٨)، الكاشف (٣٠٥/٢) رقم (٥٧١٣)، التقريب رقم (٦٩٨٧).

(٢) محمد بن بِشْر بن الفُرافِصَة العَبْديّ، أبو عبد الله الكوفيّ، توفي سنة ثلاث ومائتين، روى له الجماعة، قال ابن سعد: "ثقة، كثيرُ الحديث"، قال الذهبيّ: "الثَّبْت"، قال ابن حجر: "ثقة، حافظ".
انظر: الطبقات الكبرى (٣٩٤/٦)، تهذيب الكمال (٥٢٠/٢٤) رقم (٥٠٨٨)، الكاشف (١٥٩/٢) رقم (٤٧٤٢)، التقريب رقم (٥٧٥٦).

(٣) إسماعيل بن أبي خالِد الأَحْمَسِيّ مولاهم البَجَليّ، أبو عبد الله الكوفيّ، توفي سنة ست وأربعين ومائة، روى له الجماعة، قال النسائيّ: "ثقة"، قال الذهبيّ: "الحافِظ"، قال ابن حجر: "ثقة، ثبْت".
انظر: تهذيب الكمال (٦٩/٣) رقم (٤٣٩)، الكاشف (٢٤٥/١) رقم (٣٦٩)، التقريب رقم (٤٣٨).

(٤) جَارِيَة بن سُلَيمَان المِسْلِيّ الحَارِثِيّ، يَروي عن ابن الزبير، روى عنه إسماعيل بن أبي خالِد، ذكَرَه ابن حبّان في الثّقات.
انظر: التاريخ الكبير (٢٣٨/٢) رقم (٢٣١١)، الجرح والتعديل (٥٢٠/٢) رقم (٢١٥٨)، الثقات لابن حبان (١١٥/٤) رقم (٢٠٦٨).

درجة الإسناد:

إسناده ضعيف؛ فيه جَارية بن سُليمان المِسْليّ، وهو مجهول.

(٥) الرِّيُّ - بالكَسْر -: خِلافُ العَطَش، يُقَال: رَوِيَ فلانٌ من الماء يَرْوَى رِيّاً، فهو رَيّان، والأُنثى: رَيّا، والجميع: رِوَاء.
انظر: مقاييس اللغة (روي) (٤٥٣/٢)، المغرب في ترتيب المعرب (روي) (٣٥٤/١).

(٦) تفسير الطبري (ط: دار هجر) (٢٥٥/٢٢)، وأخرَجَه ابن أبي شيبة في المصنّف (٤١/٧) رقم (٣٤٠٤٨) عن عبدة بن سليمان ووكيع عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه، هنَّاد في الزهد (٦٤/١) رقم (٤١) عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه، البخاريّ في التاريخ الكبير (٢٣٨/٢) رقم (٢٣١١) من طريق مروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه، الطبريّ في تفسيره (٧٠/٢٣) من طريق عبيد الله بن موسى ومَروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه، الدارقطنيّ في المؤتلف والمختلف (٤٤١/١) من طريق مَروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه، وذكرَه ابن عطيّة في المحرر الوجيز (٢٣٥/٥)، ابن الجوزيّ في زاد المسير (١٢٤/٨)، ابن كثير في تفسيره

(٥٠٧/٧)، السيوطيّ في الدر المنثور (١٥٣/١٤)، الشوكانيّ في فتح القدير (١٤٥/٥)، كلاهما عزياه للفريابي وابن أبي شيبة وهنّاد وعبد بن حميد وابن جرير، الألوسيّ في روح المعاني (١٢١/٢٧).

دراسة الأثر:

اختَلفَ المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ على أقوالٍ، وهي:

القول الأول: خضْراوانِ من الرّيّ، قالَه ابن الزبير وابن عباس وأبو أيّوب الأنصاريّ وعبد الله بن أبي أَوْفَى ﷺ، وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعكرمة وأبو صالح وعطيّة العَوْفيّ والحسن البصريّ ويحيى بن رافع وسفيان الثوريّ وابن زيد.

القول الثاني: مسوَدَّتانِ، قالَه مجاهد وعكرمة والضحّاك ومُقاتل.

ولا تضادَّ بينَ القولَينِ؛ فالدُّهْمَة في اللغة: السَّواد، وشدَّة الخُضْرة، يُقالُ: ادْهَامَّ الزَّرعُ: إذَا عَلاهُ السَّوادُ رِيّاً، وحَدِيقَةٌ دَهْماءُ ومُدْهَامَّةٌ، أي: خَضْراء تَضْرِبُ إلى السَّوادِ نَعْمَةً ورِيّاً، ومن ذلك قولهم: سَوادُ العِراقِ؛ لكثْرة شَجَرِه، وزَرعه.

قال الرَّاغِبُ: "الدُّهمَةُ: سوادُ اللَّيل، ويُعبَّرُ بها عن سَوادِ الفرَسِ، وقد يُعبَّر بها عن الخُضْرة الكاملة اللَّون، كما يُعبَّرُ عن الدُّهْمَة بالخُضْرة إذا لم تكُنْ كاملةَ اللَّونِ؛ وذلك لتقارُبِهما باللَّونِ". اهـ.

المفردات في غريب القرآن (دهم) ص (١٧٣)

قال السُّمعانيّ: "﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾، أي: خَضْراوتانِ من الرّيّ، قال مجاهد: مسودَّتانِ من شدَّة الخُضْرَةِ، وهذا قولٌ صحيحٌ؛ لأنّه ما من أخضرَ إلاَّ واشْتدَّت خُضْرتُه يضْرِبُ إلى السَّواد، والعرب كانتْ تُسَمِّي قُرَى العِراق سَواداً؛ لشدَّة خُضْرتها، وكثرة أشجارها". اهـ.

تفسير السمعاني (٣٣٧/٥)

القول الثالث: ناعمَتانِ، من نُعُم ينعُمُ نُعُومَةً: وهي اللّين، وبهجة المرأى، وحسن المنظر، قالَه قتادة والحسن.

والصَّواب – والله أعلَمُ –: أنّ هذه الأقوال كلّها صحيحةٌ، ولا تضادَّ بينها؛ لأنّ الزَّرعَ إذا خَضِرَ غايةَ الخُضْرةِ يضربُ إلى السَّواد، ويكونُ ناعِماً، فالجنّتانِ في الأصل خَضْراوانِ، لكنّهما من شدَّة الرّيِّ أصبَحَتْ خُضْرتُها تضرِبُ إلى السَّواد، وصارَتا ناعِمتَينِ.

انظر: معاني القرآن للفرّاء (١١٩/٣)، مصنّف ابن أبي شيبة (٤١/٧)، الزهد لهنّاد (٦٤/١)، تفسير الطبري (٦٩/٢٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٢٧/١٠)، تهذيب اللغة (دهم) (١٢٤/٦)، مقاييس اللغة (دهم) (٣٠٨/٢)، الكشف والبيان (١٩٣/٩)، تفسير الماوردي (٤٤١/٥)، تفسير البغوي (٤٥٧/٧)، المحرر الوجيز (٢٣٥/٥)، زاد المسير (١٢٤/٨)، تفسير القرطبي (١٨٤/١٧)، تفسير ابن كثير (٥٠٧/٧)، لسان العرب (دهم) (٢٠٩/١٢)، القاموس المحيط (دهم) ص (١٤٣٣)، فتح الباري (٣٢٣/٦)، الدر المنثور (١٥٢/١٤)، تاج العروس (دهم) (١٩٦/٣٢)، فتح القدير (١٤٢/٥)، روح المعاني (١٢١/٢٧)، التحرير والتنوير (٢٩٩/٣٠).

○○○○○